أثر معركتي القرن والأصنام
في المحافظة على المذهب السني

إعداد

د. فاطمة عبدالقادر رضوان

أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى

أثر معركتي القرن والأصنام في المحافظة على المذهب السني

ملخص البحث:

يتحدث البحث عن مذهب الخوارج ومبدأ قيامه ثم انتشاره في مناطق كثيرة من العالم الإسلامي ، وفي منطقة الشمال الإفريقي وجد الخوارج بغيتهم إذ كانت تلك الأرض خصبة لتقبل الفكر الخارجي وقد ساعدت الطبيعة الجغرافية والتنوع السكاني في سرعة انتشار المبادئ الخارجية .

واستمر الصراع بين أهل السنة والخوارج زمناً طويلاً ، استنزف خزينة الدولة الأموية التي كانت تحرص على وحدة الشمال الأفريقي من أدناه إلى أقصاه .

خاضت قوات أهل السنة العديد من المعارك ضد الخوارج في محاولة للقضاء التام عليهم لكن ذلك للأسف لم يتم بل هزمت قوات أهل السنة في معركة (الأشراف ١١٢٢هـ وبقدورة ١١٢٣هـ) مما أدى إلى استفحال الخطر الخارجي وكادت عاصمة الخلافة (القيروان) أن تنسلخ من تبعية أهل السنة ثم كان لتعيين الوالي حنظلة بن صفوان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك منعطفاً جديداً في تاريخ الصراع المذهبي حيث استطاع بفضل تخطيطه أن يحافظ على القيروان عاصمة الدولة الأولى في المنطقة بعد معركتي القرن والأصنام ١٢٢٤هـ .

The impact of Al Qarn & Al Asnam battles in keeping the Sunnah doctrine

Dr./ Fatima Abdulqadir Ridwan

Abstract:

The search speaks about Kharijites doctrine and the principle of its emerging and spreading in large areas of the Islamic world. In the North African area, Kharijites found their wish as these areas are deemed fertile lands for the embracing of such foreign ideology. Further, the geographical nature and demographic diversity helped the spread of foreign principles faster than any other areas.

The conflict between Sunnis and Kharijites lasted for long time and severely exhausted the treasury of the Ymayyad State which was seriously interested in the unity of North Africa from the near borders to the far ones.

In an attempt to totally eliminate Kharijites, Sunnis' forces involved in a number of battles against Kharijites, yet this target was not fulfilled and even Sunnis' forces were defeated at (Al Ashraf (١٢٢h.) and Bugdoorah (١٢٣h.) battle, the situation which led to exacerbating the foreign threat and the caliphate capital of (Kairaouane) was about to disengage from the domination of the Sunnis. The appointment of Governor Handhalah Bin Safwan by Caliph Husham Bin Abdulmalik was deemed to be a new turning point in the history of the doctrine struggle as he, thanks to his plans, managed to safeguard Kairaouane, the capital of the First State in the area, after Al Qarn & Al Asnam battles (١٢٤H.)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

يعتبر الصراع المذهبي في الشمال الأفريقي مرحلة حافلة بالأحداث والمتغيرات ، فالخوارج وجدوا ضالتهم في المنطقة لبعدها عن مركز الخلافة من ناحية وسهولة التأثير على سكانها الأصلين (البربر) من ناحية أخرى .

كون الخوارج قواعد في المغرب الأقصى والأوسط وتحولت تلك القواعد إلى ثكنات عسكرية تنازع قوة الدولة وتزحف على ممتلكات الخلافة الأموية وتتخذ الذرائع الواهية والمختلفة لتعلن الثورة والعصيان فكان أول لقاء عسكري بين الخوارج وأهل السنة في معركة الأشراف التي هزمت فيها القوى السنية وأظهرت حقيقة التجهيزات عند الخوارج كما أوضحت الأهداف التي يرمون إليها ، ثم كانت المعركة الثانية بقدورة والتي أدت إلى استفحال الخطر الخارجي بعد هزيمة جيش الخلافة وأحكم الخوارج قبضتهم على المغربين الأوسط والأقصى .

ولقد كان الخوارج من الصفرية أشد عنفاً وقسوة من أخوانهم الإباضية والمناطق التي استطاعوا السيطرة عليها في المغربين الأوسط والأقصى تشهد على العنف والقسوة في حين كان الإباضية قد تمركزوا في طرابلس ويزدرون فحش الصفرية وهمجيتهم .

كان تعين حنظلة بن صفوان الكلبي والٍ على الشمال الأفريقي بداية مرحلة لاستقرار المذهب السني وقد كان لمعركتي (القرن والأصنام) التي هزم فيها الخوارج أثر كبير في وقف التوسع الخارجي وحافظ على القيروان من التسلط عليها لكن على الرغم من ذلك سيؤسس الخوارج دويلات لهم في المنطقة حيث استطاع الصفرية تأسيس دولة في سجلماسة في الجنوب الغربي سنة ١٤٠هـ في حين أسس الإباضية دولة في تاهرت في المغرب الأوسط سنة ١٦٠هـ وظلت القيروان مركزاً لأهل السنة في الشمال الأفريقي .

يتناول هذا البحث مرحلة من مراحل الصراع بين مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب الخوارج في منطقة الشمال الأفريقي ، ولعل من الجدير ذكره أن الخوارج ظهرت كفرقة مخالفة لأهل السنة في عهد الإمام علي ﷺ وتحديداً في يوم صفين حين كان القتال شديداً بين قوات الإمام علي كرم الله وجهه وهو يمثل خليفة المسلمين وبين قوات معاوية بن أبي سفيان والي الخلافة في بلاد الشام والمطالب بدم الخليفة عثمان ﷺ وكاد القتال أن يكون لصالح الإمام علي ﷺ إلا أن معاوية بن أبي سفيان اقترح فكرة التحكيم [ورفع المصاحف لتحكيم كتاب الله] ليخرج من مأزق الهزيمة فرفض الإمام علي ﷺ هذا الأمر فخرجت عليه طائفة من جيشه تطالبه بقبول التحكيم فاضطر لقبوله مع عدم قناعته به خوفاً من انقسام الصف ورغبة في وحدة الكلمة ، وانتهى التحكيم إلى نتيجة سلبية أحرجت مركز الخلافة بل أكثر من هذا أن هذه الطائفة نفسها رغم أنها أدركت خطأً قبول فكرة التحكيم إلا أنها اتخذت طريقاً ظاهره حق وباطنه باطل فرفعت شعار " لا حكم إلا لله " لا لبني هاشم آل رسول الله ﷺ ولا لبني أمية من قريش ، وطالبوا الإمام علي ﷺ بالتوبة فإن تاب بايعوه وإلا فإنه مخالف ، فرفض الإمام علي كرم الله وجهه الانصياع لفكرتهم فأعلنوا عصا الطاعة وتخربوا وعينوا عليهم رجلاً منهم اسمه عبد الله بن وهب الراسي وتركوا الخليفة وساروا إلى حروراء وكفروا كل من يخالفهم فلم يجد الإمام علي ﷺ إلا قتالهم سنة ٣٧هـ [١] لاستباحتهم دماء وأعراض وأموال مخالفيهم واعتبروا الإمام علي ﷺ مخالف كافر وقد تمكن الإمام علي ﷺ من قتل الراسي إلا أن خطرهم لم ينتهي [٢] بل إن الخليفة الراشدي الرابع ﷺ استشهد على يد أحدهم وهو عبد الرحمن بن ملجم .

كانت نهاية العصر الراشدي وقيام الدولة الأموية مرحلة خطيرة في حياة الأمة المسلمة إذ ساهم هذا التحول في ازدياد نشاط الخوارج ، وشدة بأسهم وتوحيد أهدافهم لمناهضة السلطة الحاكمة ففيه تحول منصب الخلافة إلى وراثة في أبناء البيت الأموي وقد أدى هذا بالخوارج إلى كثرة أتباعهم لأن من أهم مبادئهم

عدم حصر الخلافة في حي معين بل هي حق لأي مسلم تتوفر فيه الشروط الواجبة في الإمام (٣) .

وأكثر أتباعهم من عرب البادية وقلة منهم من عرب القرى وهم أجلاف غلاظ ، والعجيب أننا لا نرى الكثير من الموالي في طائفة الخوارج مع أن منصب الخلافة في مبادئ الخوارج متاح لأن ينالوه لكن يبدو أن الخوارج يعتبرون الموالي درجة أقل ويعاملونهم بشيء من الازدراء (٤) .

أول ثورة قامت ضد الخليفة معاوية ﷺ ثورة عبد الله بن أبي الحوساء بالقرب من الكوفه عند منطقة تسمى بالنخيلة (٥) فبعث إليه معاوية ﷺ قوة بقيادة خالد بن عرفطة فهزمت جموع الخوارج وقتل ابن أبي الحوساء سنة ٤١هـ (٦) ولقد زادت الهزيمة الخوارج شراسة ففي نفس العام خرج على الخلافة قوة خارجية أخرى بقيادة حوثره بن ذراع الأسدي وتم القضاء عليها ، ثم تخرج قوة خارجية ثالثة بقيادة فروه بن نوفل الأشجعي في خمسمائة من الخوارج هزمت جيش الخلافة من أهل الشام مما جعل الخليفة معاوية ﷺ يشدد على أهل الكوفة ليصدوا الخوارج فكتب إليهم قائلاً : " لا أمان لكم والله عندي حتى تكفوا بوائقكم فخرج أهل الكوفة إلى الخوارج فقاتلوهم " (٧) .

وفي ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة (٤٢-٥١هـ) ساد الهدوء والسلم لاستعماله اللين مع الرهبة فظن الخوارج أن ذلك ضعفاً وليس حكمة وكياسة فخرجوا بثورة عارمة سنة ٤٣هـ بزعامة المستورد الطائي ، فاستنفر المغيرة أهل الكوفة وكبار رجالها ، وقام معه كل من عدي بن حاتم ومعقل بن يسار للقضاء على هذا التمرد الخارجي وعلى الرغم من أن أهل الكوفة لم يكونوا موالين للخلافة الأموية إلا أن ثورات الخوارج كانت تكبدهم الكثير من الخسائر في الأموال والأنفس ، وخرج معقل على رأس الجيش لقتالهم فانتهت المعركة باستشهاده ومقتل المستورد (٨) .

وفي سنة ٤٥هـ عَيَّن الخليفة معاوية ﷺ زياد بن أبي سفيان والياً على البصرة وهو المعروف بالقوة والشدة والبأس فضرب الواليان (والي الكوفة المغيرة بن شعبة ، ووالي البصرة زياد عبد الله) بقوة على الخوارج ، ولما توفي المغيرة بن شعبة سنة ٥١هـ أسندت إلى زياد بن أبي سفيان الكوفة ليصبح والي على الولايتين ، واشتد في محاربة الخوارج فلم تقم لهم قائمة حتى وفاته ، وقد تولى مكانه ابنه عبيد الله بن زياد فعاد الخوارج إلى الثورة وظلت ثورة أحدهم ويدعى مرداس بن ادبه ثلاث سنوات من سنة ٥٨ إلى سنة ٦١ [٩] .

ويذكر المؤرخون [١٠] أن في هذا التاريخ تفرق الخوارج في الأمصار ويعلل بعضهم هذا الأمر إلى الشدة التي لاقوها من قبل الخلافة الأموية ، لكن أرى أن هذا الرأي يجانبه الصواب لأن الخوارج لهم هدف عظيم وهو الوصول إلى السلطة والحكم ؛ فهم قطعاً سيبحثون عن أرض مناسبة آمنة يمكنهم فيها من بث أفكارهم وتجميع أنصارهم والوصول إلى مرادهم ، وأيضاً لو كان العنف والشدة هما سبب الخروج والعصيان لكان أجدر أن يستكنوا في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ الذي بذل قصارى جهده ليكسبهم وناظر رجلين من أصحاب بسطام اليشكري الذي خرج بثورته في سنة ١٠٠هـ من خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز وأقام ﷺ عليهما الحجة في كل القضايا التي طرحوها عدا قضية ولاية العهد ليزيد بن عبد الملك إذ طلب الخليفة فرصة للرد عليها نجد أن المنية سبقته بالرد وحالت وفاته سنة ١٠١هـ دون حل تلك القضية .

إن الشدة والقوة في مواجهة الخوارج كان لها دورها في إخماد أنفاسهم كما حدث ذلك في ولاية كل من المهلب بن أبي صفرة والحجاج بن يوسف الثقفي وذلك مدة اثنان وعشرون عاماً (٧٨هـ-١٠٠هـ) وإن لم يؤدِ ذلك للقضاء عليهم نهائياً إلا أن الهدوء والاستقرار عم ولايتي الكوفة والبصرة ونشط الناس لأعمالهم وأدت الولايتين دورهما في الفتح خارجياً وفي التطوير الحضاري والفكري داخلياً .

ولهذا فإن الهدف المرسوم عند الخوارج هو الوصول إلى مركز الخلافة وهذا لن يكون في ضوء ظروف منطقة العراق وما والاها ولا في المراكز التي أقاموها في كل من اليمامة وحضرموت واليمن (١١) ، لذا توجهوا إلى مناطق نائية عن مركز الخلافة يجمعوا فيها الأنصار وتكون نواة إلى الوصول إلى مركز القوة وقد تم لهم ما أرادوا في الشمال الأفريقي .

الخوارج في بلاد المغرب :

المغرب أرض بعيدة نائية عن مركز الخلافة وعاصمتها القيروان التي أسسها القائد عقبة بن نافع الفهري سنة ٥٠هـ أصبحت مركزاً علمياً وثقافياً هاماً ليس فقط في القيروان وما حولها بل في القارة الأفريقية كلها ، وكانت البعثة العلمية (١٢) التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩هـ قد أدت إلى بلوغ الناس مرحلة من النضج والوعي والفقه بمقاصد الشريعة وغاياتها ، وصارت القيروان قبلةً لكل طالب علم وكل باغٍ لنشر العلم .

لكن ذلك لا يعني أن هذا حال كل ساكني المنطقة أبداً لأن العناصر البشرية المكونة للمجتمع هناك جد متفاوتة في انتمائها ومصالحها وقبولها للإسلام وأهله ، فالبربر وهم السواد الأعظم هم سكان البلاد الأصليين منهم من أسلم وحسن إسلامه وشارك مع المسلمين في الفتوحات ونشر الإسلام ، وطائفة منهم ما تزال على وثنيتها وثالثة لا يعنيها من هذا الدين وعلومه إلا بقدر ما يفي بحاجتها في حين كانت هناك فئة ساذجة لا تعي ما يدور حولها .

أما الأفارقة (١٣) الذين كانوا وراء ما يحافظ على مصالحهم كان إسلامهم رغبة منهم في المحافظة على أراضيهم لهذا لا نستغرب إن وجدناهم يميلون إلى الحركات الانفعالية ويشاركون فيها النبلاء من القرن الثاني الهجري والمثل على ذلك عبد الأعلى بن جريج الأفريقي الذي يعرف بأنه رومي الأصل ومن موالي العرب وكان مع ميسرة المدغري في ثورته وهو من الصفرية (١٤) .

ويمثل الروم القوى الحاكمة للبلاد وعلى الرغم من أن عددهم كان كبيراً فإن الكثير منهم انسحب نحو جزر البحر الأبيض المتوسط ، وجماعات منهم لجأت إلى المناطق الداخلية حرصاً على أموالها وخيراتها ودخلت في الإسلام (١٥).

ولابد من ذكر أن الوضع السياسي في بلاد المغرب قد أخذ في الاستقرار منذ عهد القائد حسان بن النعمان ، وكللته جهود القائد موسى بن نصير وقد بذلا جهوداً جبارة لإقرار الأوضاع الأمنية والسياسية للقيروان خاصة وللشمال الأفريقي عامة حتى أطلت البلاد على عهد جديد هو عهد الولاية وما يتبعها من تنظيمات مكنت للإسلام ودستوره أن يسود وينعم فيه الجميع بالمنهج القويم (١٦) .

لكن البربر الذين عاشوا تحت حكم الفينقيين والوندال والرومان والبيزنطيين وعانوا من استبدادهم وقسوتهم أحقاباً متتالية صارت لديهم كراهية لأي قادم جديد وردة البربر المتتالية بعد حملات الفتح أمراً معتاداً ولم يهدءوا ويتناسوا الردة إلا في عهد موسى بن نصير حين استغل طاقاتهم وأشغلهم بفتح الأندلس كما يذكر ذلك السلاوُي الناصري (١٧) ، لكن ذلك لا يعني أن المسلمين بعد عهد موسى بن نصير لم يجدوا من البربر المسلمين تذمر ومعارضة فهذا حقيقة مرهون بالعديد من المسائل فسياسة الوالي وحسن رعايته لهم والعدل فيهم وتنظيم أحوال معيشتهم والاهتمام بتعليمهم وتثقيفهم ، ومرهون كذلك بالبربر أنفسهم وتطلعاتهم وتأثرهم بعوامل ومتغيرات جمة .

عصر الولاة في منطقة الشمال الأفريقي كان يمكن أن يكون انطلاقة للبناء والتعمير ونشر الإسلام في المناطق النائية والاهتمام بالعلوم المختلفة (١٨) لولا دخول المذهب الخارجي بفرعيه (الأباضي والصفري) نهاية القرن الأول ، وما أحدثه هذا من انقسام واضطراب ثم ثورات زعزعت الأمن واستنزفت خزينة الدولة الإسلامية ، من الأموال وراح ضحيتها رجال من خيرة أهل العلم والصلاح .

لعل من الجدير ذكره أن الخوارج بكل طوائفهم لم يكونوا جماعات منظمة وقد استفادت بعض فرقهم من تجارب الثورات المتكررة فعمدوا إلى أسلوب مغاير

يعتمد على الدعوة السرية ونشر الدعاة في أطراف العالم الإسلامي ، وقد أحسن الخوارج في اختيارهم لأرض المغرب كمكان آمن بعيد عن نظر مركز الخلافة في دمشق [١٩] ، فريق من الخوارج لجأ إلى هناك فرقة الصفرية وهي نسبة إلى زياد بن الأصفر وهم من المغاليين وإن كانوا قد تخلوا عن بعض مبادئهم بعد الفشل الذريع إلا أننا سنرى ضراوتهم وشدتهم في بلاد المغرب . أما الطائفة الأخرى من الخوارج فهم الإباضية أتباع عبد الله بن أباض وهم أكثر الخوارج اعتدالاً [٢٠] .

دخل المغرب سنة ٩٨هـ وبالتحديد إلى القيروان داعيتين من دعاة الخوارج هما عكرمة مولى ابن عباس وسلمة بن سعد ، أما عكرمة فهو مغربي الأصل من موالي الصحابي الجليل عبد الله بن عباس صاحب العلم والفقه وقد استفاد عكرمة من هذه الصلة فقد استمع إلى كبار الصحابة كأبي هريرة والسيدة عائشة رضي الله عنهم أجمعين وصار من الأعلام الأجلاء في الفقه والحديث أما دخوله في المذهب الصفري فيرجح أنه تم متأخراً لكن يبدو أنه صار فيه من كبار أعلامه ودعاته حتى انتدب لينشر المذهب الصفري في المغرب [٢١] .

أما سلمة بن سعد صاحب الدعوة الإباضية فلا تسعفنا المصادر التي بين أيدينا عن أصل موطنه لكن قدم من البصرة بصحبة عكرمة .

لقد انتهج الإباضية والصفرية في القيروان نهج الدعوة السرية ، وكانت حلقات العلم تدرس في مسجد القيروان تحمل في طياتها الأحاديث العامة التي تدور حول المسائل المشتركة مع أهل السنة والجماعة وأحاديث عن الجنة والنار والثواب والعقاب وإصلاح النفس غير أن هذا كان بداية لتكوين الأتباع والأنصار[٢٢].

لم يكن هناك توافق بين طائفتي الخوارج وإن بدا للناظر عكس ذلك إذ بعد تكوين الأتباع اتجهت كل طائفة إلى ناحية من بلاد المغرب فاتجه الإباضية إلى الأقاليم الشرقية من الشمال الإفريقي بينما اتجهت الصفرية إلى نواحي المغرب

الأقصى [٢٣] . وقد تصل العلاقة بين الطرفين إلى حد العداء والصراع المسلح كما سنرى ذلك .

يشير الدكتور / محمد عيسى الحريري [٢٤] إلى أن دعاة الخوارج نجحوا على نطاق واسع لأن دعوتهم كانت تحمل للبربر مبدأً عظيماً هو المساواة المطلقة التي تعطيهم الأمل أن يكونوا حكاماً لا محكومين ، وأن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من جميع المسلمين قرشيين أو غيرهم حتى العبيد ، وأن لخليفة يُعزل إذا حاد عن الشريعة [٢٥] .

التأييد القبلي للمذهب الخارجي :

لقد أدرك الخوارج طبيعة البربر وتقسيماتهم القبلية مما سهل لهم الانتشار بشكل سريع والوضعية القبلية السائدة في بلاد المغرب ساهمت بشكل كبير في حركة الخوارج وتأييدها ونصرتها فمثلاً رئيس قبيلة مطفرة (مدغره) يسمى ميسرة المدغري ، قدم القيروان ودرس على يد الداعية الصفري القادم من المشرق عكرمة مولى ابن عباس ، وقد أخذ العلم عنه في الخفاء حتى أن ميسرة هذا كان يعمل سقاءً في سوق القيروان مع كونه سيد قومه إمعاناً في الحذر والتستر فلما بلغ درجة من العلم في المذهب الصفري عاد إلى المغرب الأقصى حيث موطن قبيلته ونشر المذهب فيها [٢٦] .

وكذلك أبو القاسم سمكو بن واسول شيخ قبيلة مكناسة الذي تلقى العلم على يد عكرمة بالقيروان وكان شديد الذكاء ذو همة عالية فأصبح من " مشاهير حملة العلم " [٢٧] .

واعتنق بربر برغواطه المذهب الصفري على يد طريف بن شمعون الذي لقي عكرمة بالقيروان وكان لبربر برغواطه دور بارز في ثورة ميسرة المدغري [٢٨] .

ولعل من الجدير ذكره أن اعتناق القبائل للمذهب الخارجي قوى الحركة الخارجية ووسع انتشارها ومكن لزرع قواعد في العديد من المناطق مما أسهم في سريان الثورة ونجاحها .

أما فرقة الإباضية من الخوارج فقد اتخذت لها مكاناً في إقليم طرابلس وجبل نفوسه على يد سلمة بن سعد الذي ما لبث أن وافاه الأجل فحل محله أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد بن مغيطر الذي كان تلميذ أبو عبيدة مسلم بن أبي عكرمة قطب الدعوة الإباضية في البصرة ، وقد جعل أبو عبد الله من جبل نفوسه (دار هجره) للمذهب الإباضي أي هو المركز الذي انطلقت منه الدعوة الإباضية إلى قبائل هواره ولمايا وزناته وزواغه ، كما انتشرت دعوة الإباضية في المغرب الأوسط وخرج طلبة من المغربين الأوسط والأدنى لتلقي العلم على يد علماء المذهب في المشرق الإسلامي فعادوا وهم " حملة علم " أدوا دوراً بارزاً في تثبيت المذهب وبدء مرحلة جديدة تهدف إلى التمكين وإقامة كيانات سياسية [٢٩] .

أسباب ثورات البربر :

شهدت بلاد الشمال الإفريقي منذ سنة ١٢٢هـ ثورات خارجية شارك فيها البربر الخوارج الذين اعتنقوا المذهب الخارجي قبل مدة وجيزة وأعلنوا التمرد والخروج على السلطة الحاكمة متدرعين بالعديد من الأسباب :

١- ظلم الولاة لهم وتمثل ذلك في سياسة الوالي يزيد بن أبي مسلم (١٠٢هـ) الذي كان كما يقول ابن عذاري [٣٠] : " ظلوماً غشوماً " فقد ازدرى جنده فأمر بأن يرسم على إحدى يدي الجندي اسمه وعلى الأخرى حرس يزيد بن أبي مسلم فغضب البربر وقالوا جعلنا بمنزلة النصارى إذ كانت الروم تفعل هذا بحرسها فاتفقوا على قتله وتم ذلك فعلاً .

٢- اعتبار السلطة الحاكمة البربر ذميين رغم إسلامهم فيدفعون الجزية والأفظع من ذلك تؤخذ نساءهم سبايا وأوضح صورة لهذا الظلم ما حدث في ولاية

عبيد الله بن الحجاب (١١٦-١٢٢هـ) فقد كان عامله عمر بن عبد الله المرادي " قد أساء السيرة وتعدى في الصدقات والعشر وأراد تخميس البربر وزعم أنهم فيء للمسلمين ، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله ، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يجيب للإسلام " (٣١) .

٣- انعدام مبدأ المساواة المطلقة بين جماعة المسلمين (العرب الفاتحين والبربر المسلمين الجدد) وأبرز مظاهره تبدو في حصر منصب السلطة في طائفة العرب دون البربر والبلاد بلادهم والسواد الأعظم من الرعية منهم (٣٢) .

وأشير هنا إلى أن المظالم التي ذكرها البربر الخوارج هي أذى وقع عليهم بلا شك لكن حقيقة هي لم تكن مظهراً عاماً منذ الفتح ولكن هي حالات فردية من بعض الولاة وليست سمة عامة لكل مراحل الحكم الإسلامي لبلاد المغرب ، بل إن سياسة يزيد بن أبي مسلم لم تكن محل رضى الخاصة والعامة وليس أدل على ذلك أن ردة الفعل التي حدثت من البربر المسلمين وهي قتل الوالي لم يعارضها الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١ ، ١٠٥هـ) ناهيك أنه لم يطالب بمعاقبة الفاعلين وهذا دليل على عدم رضاه بما أحدثه واليه ، وكتبوا إليه : " إنا لم نخلع أيدينا من طاعة ، ولكن يزيد بن أبي مسلم ، سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون ، فقتلناه ، وأعدنا عاملك " فيرد عليهم الخليفة يزيد بن عبد الملك : " إني لم أرضَ ما صنع يزيد بن أبي مسلم " (٣٣) .

ومما تجدر ملاحظته أن الفاعلين لم يكونوا خوارج أنهم بربر مسلمين عرفوا أن الفاتحين المسلمين أمة لم تأتِ لاستعبادهم ونهب خيراتهم إنما جاءت لرفع شأنهم ونشر الحق بينهم ، ولعل الذي قام بهذا الفعل هم حرس الوالي الذين وقع عليهم الظلم من الوالي فقتلوه وكان ذلك ومما يلفت نظرنا هنا أن الذين قتلوا الوالي لم يفكروا في أخذ السلطة وحكم الولاية ولهذا هي ثورة ضد الظلم فقط ، ولقد تُرك منصب الولاية شاغراً حتى تصالح الناس على تعيين أمير البحر محمد بن أوس الأنصاري (٣٤) فهي ليست ثورة خوارج إذ الخوارج في ثوراتهم كما سنرى

يكون محط نظرهم وأعظم مقاصدهم نيل السلطة .

أما السبب الثاني الذي ذُكر في أسباب الثورة وهي عدم رفع الجزية على من أسلم من البربر وقصة السبايا وكذلك جلود الخرفان العسلية أو (البيضاء) التي يبعثها الوالي إلى الخليفة هشام بن عبد الملك فإنه على الرغم من تكرار الرواية في كتب المؤرخين إلا أن السياسة المالية التي انتهجها الخليفة هشام بن عبد الملك تدحض هذه الفرية إذ كان يحرص على المال الحلال الذي يدخل بيت مال المسلمين حتى أنه كان يشهد عليه أربعين رجلاً ذكر الذهبي (٣٥) : " كان لا يدخل بيت المال لهشام شيء حتى يشهد أربعون قسامة ، لقد أخذ من حقه ولقد أعطى الناس حقوقهم " .

كما لابد من الإشارة إلى أن عمليات غزو المناطق النائية التي لم تصلها الجيوش من قبل وكذلك الغزو في البحر قد ظل طيلة عهد الولاة وقد يكون فرض الجزية على من بقي على دينه في تلك النواحي ولم يدخل في الإسلام (٣٦) . ذكر ابن أبي دينار قوله (٣٧) : " وكانت بها (يقصد بلاد المغرب) قرى عامرة بالكفر إلى ما بعد المائة الرابعة " .

أما الذريعة التالية التي اتخذها الخوارج سبباً للخروج وإعلان العصيان والثورة فهي قضية الحكم والسلطة والتي كانت سبباً في تحويل نشاط الخوارج من المشرق الإسلامي إلى المغرب الإسلامي .

لا جدال أن البربر دخلوا في الإسلام طواعية وساهموا مع أخوانهم في نشر الرسالة المحمدية ولا تنكر جهودهم في فتح الأندلس ، وقد كان المسلمون الفاتحون على درجة كبيرة من السمو في التعامل مع البربر حتى أنهم لم يشعروا بالقهر والغلبة أبداً (٣٨) .

لكن في قضية السلطة والحكم فلابد من القول أن التجربة ليست من السهولة على طائفة البربر الذين لم تكن لهم سابقة فيها بل كانوا دوماً هم

المحكومين ولهذا أتصور أن إعطاء منصب الولاية للبربر قد يكون محفوفاً بالكثير من المخاطر لأن خلف المنصب تكاليف وحقوق لابد أن تؤدي إضافة أن من يعتلي هذا المنصب لابد وأن يكون على درجة من العلم بالشريعة في كل ما يخص قضايا الحكم وهذا لم يكن ممكناً في بداية الفتح لأنه لابد من تعلم العربية ليسهل تعلم الشريعة من مصدريها القرآن الكريم والسنة الشريفة .

تلك هي الذرائع التي اتخذها الخوارج لإعلان الثورة على السلطة الحاكمة، والواقع إن كان شيئاً من الظلم قد وقع على البربر المسلمين فإن هناك طائفة ضخمت هذا الظلم لدى البربر وأعطت لهم أساليب لتقويض نظام الحكم وهذا ما فعله الخوارج من الإباضية والصفرية " أن الظلم وحده لا يكفي لقيام ثورة ما لم تتوفر فئة تحسم المظالم وتضخمها في أعين الناس وترسم لهم طريق تقويض الحكم القائم وقد توفر ذلك في المغرب على يد الخوارج من الصفرية والإباضية "(٣٩) .

فتيل الثورة :

يميل الكثير إلى إعطاء العذر للخوارج لإعلان ثورتهم ضد السلطة الحاكمة بعد إرسالهم وفداً من أهل المغرب لمقابلة الخليفة هشام بن عبد الملك لعرض شكواهم من عماله ذكر الطبري قوله (٤٠) : " فما زال أهل المغرب من أسمح أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك ، فلما دب إليهم أهل العراق (أي الخوارج) واستثاروهم قالوا : إنا لا نخالف الأئمة بما تجني العمال ولا نحمل ذلك عليهم فقالوا : إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك ، فقالوا لهم : لا نقبل ذلك حتى نخبرهم ، فخرج ميسرة المدغري في بضعة عشر إنساناً حتى قدم على هشام ، فطلبوا الإذن ، فصعب عليهم ، فأتوا الأبرش (٤١) فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده ، فإذا أصاب نفلهم دوننا ، وقال هم أحق به ، فقلنا : هو أخلص لجهادنا ، وإذا حاصرنا مدينة قال : تقدموا ، وأخر جنده ، فقلنا : تقدموا ، فإنه ازدياد في الجهاد ، ومثلكم كفى إخوانه ، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم ، ثم أنهم

عمدوا إلى ماشيتنا ، فجعلوا يبقرونها عن السخال ، يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاة في جلد ، فقلنا ما أيسر هذا لأمير المؤمنين ، فاحتملنا ذلك ، وخليناهم وذلك ، ثم أنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا ، فقلنا : لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون ، فأحببنا أن نعلم ، أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا ؟ . قال الأبرش : نفعل ، فلما طال عليهم ، ونفذت نفقاتهم كتبوا أسماءهم في رقاع ورفعوها إلى الوزراء ، وقالوا : هذه أسماؤنا ، وأنسابنا فإن سألكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه " ، ثم عادوا وأعلنوا الثورة .

إن هذه الرسالة وإن ذكرها الطبري ونقلها عنه آخرون فهذا لا يعني القطع بصحتها لأن الإمام الطبري في مقدمة كتابه ذكر أنه كتب كل ما سمع (٤٢) فهي ليست محققة لذا لا يعول عليها في أخذ العذر لإعلان ثورة حصدت أرواح ألوف من البشر ، كما أن الخروج على الإمام ليس بهذه البساطة إن الذي يلزم الآخرين بالعدل والمساواة انطلاقاً من مبدأ تشريعي لابد أن يلزم نفسه بفهم حكم الخروج على الإمام (٤٣) .

وثمة نقطة أخرى جديرة بالملاحظة في نص الطبري وهي قوله : " فما زال أهل المغرب من أسمح أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك فلما دب إليهم أهل العراق (أي الخوارج) استثاروهم " إذن الفكر الخارجي هو الباعث الحقيق للثورة قبل كل شيء وتاريخ الخوارج في المشرق الإسلامي حافل بالثورة والعصيان .

لم تكن ثورات الخوارج في المغرب الإسلامي دفعاً لظلم وقع وإنما استهدفت إقامة دولة خارجية استعصت عليهم في المشرق .

ثم كيف يمكن تصديق إحجام الخليفة هشام بن عبد الملك عن مقابلتهم لقد عرف عن الخليفة حزمه وعقله وكياسته ، فهل يغيب عنه ما يمكن أن يترتب على عدم مقابلة هذا الوفد لاسيما وأنه كان على علم بأحوال الخوارج في بلاد المغرب وشدة بأسهم فلا يمكن أن يهمش الأمر وله هذه الأبعاد الخطيرة وهو الرجل

الحريص على معرفة أحوال الولايات ويطلع على الدواوين بدقة فائقة " لم يكن أحد من بني مروان أشد نظراً في أصحابه ودواوينه ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام " [٤٤] .

لا ننكر أن وفد المغرب قد ذهب إلى المشرق ووصل إلى دمشق لكن لا ليقابل الخليفة ولكن ليلتقي مع خوارج المشرق ويتدارس الخطط معهم ومن ثم يحظى بتأييدهم وعونهم . " وكانوا قد تدارسوا في دمشق المنهاج الذي يسير عليه خوارج المشرق " [٤٥] .

ثورة ميسرة المدغري (غزوة الأشراف – رمضان ١٢٢هـ) :

بايعت الصفرية إماماً عليهم ميسرة المدغري الذي بادر بإعلان الثورة على السلطة الحاكمة بعد عودته مع الوفد من المشرق وانضمت إليه كل من مكناسة وبرغواطه والأفارقة بزعامة عبد الأعلى بن حديج كما انضمت إليه من المغرب الأوسط زناتة [٤٦] في منطقة الريف وبالتحديد في طنجة حيث اقتحموا المدينة وقتلوا عاملها عمر بن عبد الله المرادي وطردوا إسماعيل بن عبيد الله وقتلوا الصبيان وسبوا النساء وفعلوا من الأمور البشعة الكثير وأحكم ميسرة سيطرته على طنجة ثم راح يوسع نطاق الثورة ليصل إلى مركز الخلافة في المغرب أي (القيروان) ويقضي على نفوذ السنة ومن يمثلها [٤٧] .

بلغ نبأ سقوط طنجة للوالي عبيد الله بن الجحاب الذي كان جيشه يغزو صقلية فتحرك في اتجاهين الأول أرسل إلى عامله على الأندلس يأمره بمواجهة الصفرية على تخوم طنجة وما والاها ، وقد سارع عقبة بن الحجاج السلولي على رأس قواته إلى هناك وقاتل البربر بشدة لكن الثورة حقيقة كانت أعظم من أن يقضي عليها عقبة فعاد إلى الأندلس ليجد بربرها قد ثاروا تأسياً بأهل طنجة – وثانياً – جهز قوة ممن كان عنده من الجند ومن أشراف ووجوه العرب يترأسهم خالد بن أبي حبيب وكان اللقاء الحاسم بين قوات السنة ومن الخوارج بقيادة ميسرة عند وادي شلف وتقاتل الطرفان قتالاً شديداً ولا يعرف سبب انسحاب ميسرة المدغري

من المعركة ودخوله إلى طنجة حيث عزلته الصفرية ثم قتلوه لتخاذله في قتال جيش السلطة السني ، وعين الخوارج عليهم خالد بن حميد الزناتي الذي داهم قوات خالد بن أبي حبيب بشراسة وهو يقاتل بعض فلول جيش ميسرة ، وكانت قوات خالد بن حميد الزناتي من القوة والكثرة ما أذهل خالد بن أبي حبيب الذي رأى من الضرورة التصدي لقوات الخوارج مع من معه من الجند الذين استبسلوا في القتال إلى أن نالوا الشهادة مع قائدهم في الغزوة التي عرفت باسم غزوة الأشراف [٤٨] .

تحرج موقف الوالي عبيد الله بن الجحاب الذي خشي من توسع نفوذ الخوارج فأراد أن يحول بينهم وبين القيروان فأرسل إلى تلمسان عاملاً من قبله هو عبد الرحمن بن المغيرة وطلب إليه مواجهة الخوارج فقاتل عبد الرحمن الصفرية حتى سمي بالجزار لكن يبدو قوى الخوارج ونفوذهم على تلمسان وأرغموا عامل ابن الجحاب على مغادرتها [٤٩] .

أما الخليفة هشام بن عبد الملك فقد أفزعته أنباء الهزيمة واستشهاد تلك الصفوة من المسلمين فاستدعى الوالي عبيد الله بن الحجاب وتوعد برد قوي ضد الخوارج المتمردين " والله لأغضبن لهم غضبة عربية ، ولأبعثن لهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي " [٥٠] .

معركة بقدورة سنة ١٢٣هـ :

أدرك الخليفة هشام بن عبد الملك خطورة الثورة الخارجية ومراميها البعيدة، وحجم قوتها وكثرة المؤيدين لها ، كما أدرك أنها ثورة عقائدية تدفع بصاحبها إلى الموت دون مبالاة وسياسية بجنوحها لنيل الحكم والسلطة فلابد من الإعداد بقوة لمواجهة الخطب المدلهم .

في جمادى الثاني سنة ١٢٣هـ عين الخليفة كلثوم بن عياض القشيري والي على بلاد المغرب وعين له نائبين هما ابن أخيه بلج بن بشر القشيري وثعلبة بن سلمه العاملي ، وأعد الخليفة له جيشاً عظيماً من أهل الشام تعداده سبعة وعشرون

ألف جندي من النظاميين من دمشق وحمص والأردن وفلسطين وحلب ، ورجلين من أصحاب الدراية بأرض المغرب هما هارون القرني مولى معاوية بن هشام ومغيث الرومي صاحب موسى بن نصير ويكونا كذلك مستشارين للوالي كلثوم بن عياض (٥١) .

كما أرسل الخليفة إلى كافة عماله في الولايات التي يمر بها جيش كلثوم أن يقدموا له ما يحتاجه من الرجال والمال (٥٢) .

سار الجيش من الشام فوصل مصر وانضم إليه من جندها ثلاثة آلاف مقاتل نظامي عدا المتطوعين والموالي وكذلك من برقة وطرابلس (٥٣) .

لا ريب هذه الأعداد وما معها من سلاح وعتاد كانت كفيلة بدحر الخوارج وتمزيق صفوفهم لاسيما وأن هذا الجندي القادم من المشرق في ذروة قوته ونشاطه على عكس البربر الخوارج الذين اشتركوا في قتال جيش الوالي السابق عبيد الله بن الجحاب ، لكن عوامل متعددة ستحول دون تحقيق النصر والتمكن لأهل السنة لعل أهمها الغرور بكثرة العدد الذي كانوا فيها حيث وصل جيش كلثوم بن عياض إلى سبعين ألف جندي (٥٤) . ولقد أدب الله تبارك وتعالى جيش الرسول الأعظم ﷺ في غزوة حنين لما قالوا : " لن نغلب اليوم من قلة " فكان الجزاء من الله تعالى هزيمة للمسلمين في بداية المعركة أرجعت إلى الناس عقلها وأدركت أن النصر من عند الله لا بالعدد والعدة ، وثاني عامل هو الفرقة والانشقاق بين فئتي الجيش (الشاميين والبلديين) فيذكر المؤرخون أن جيش كلثوم دخلوا أفريقية مغرورين متكبرين كما طلب بلج بن بشر من أهلها قائلاً : " لا تغلقوا أبوابكم حتى يعرف أهل الشام منازلهم " (٥٥) كناية عن إباحة بيوت أهل أفريقية لجند الشام وقد أثار هذا حفيظة أهل أفريقية .

حرص كلثوم بن عياض على عدم دخول القيروان تفادياً للصدام ونزل في منطقة سبيبة على بعد مسيرة يوم عن القيروان ، غير أن ما قاله بلج بن بشر قد بلغ القائد حبيب بن أبي عبده الذي كان معسكراً عند وادي شلف فأرسل إلى كلثوم بن

عياض رسالة يسفه فيها صنيع ابن أخيه بلج ويحذره من التمادي وإلا حول السيوف نحوهم بدلاً من الخوارج ، فبعث كلثوم إليه اعتذاراً ويطلب منه أن ينتظره عند وادي شلف ، ويذكر ابن عذاري أنه لما تم اللقاء بينهما تعرض بلج بن بشر لحبيب بن أبي عبده وصاح الناس السلاح السلاح وانضم أهل مصر إلى جيش أفريقية ثم سعى الناس للصلح بينهما (٥٦) .

كما أن من عوامل فشل هذه المعركة الخطة العسكرية التي وضعها كلثوم بن عياض بمشورة ابن أخيه بلج (٥٧) ولم يأبه لنصيحة جند أفريقية الذين كانوا على دراية بالخوارج وطرقهم في القتال ، بل إن الخطة التي وضعها كلثوم لنفسه كانت قوية لاعتمادها على الخيالة والبربر يفتقرون إلى هذه القوة فهذه نقطة ضعف كان من الممكن كسب المعركة من خلالها .

خرجت قوات كلثوم بن عياض تتقدمها فرقتين من الخيالة أولاهما خيالة أهل الشام وعليها بلج بن بشر وعددها عشرة آلاف فارس ، وثانيها خيالة أفريقية وعليها هارون القرني .

أما أعداد الخوارج فهم في عدد لا يحصى وهمة في القتال لا تضاهى فقد أقبلوا عراة ليس عليهم إلا السراويل وحلقوا رؤوسهم اقتداء بخوارج المشرق ، وكانوا يرفعون أصواتهم طالبين التحكيم (٥٨) ، وقد داخل الرعب كلثوم بن عياض فطلب المشورة من مستشاريه وكاد يقف موقفاً دفاعياً باتخاذ خندق وإخراج الكتائب تقاتل البربر ثم تعود إلى مواقعها ولكنه نزل على مشورة بلج الذي لم يحسب الأمر بدقة اغزاراً بما عنده من السلاح والخيالة والصفرية ليس لها ذلك فأكثرهم عزل .

خرج بلج بن بشر صباحاً لملاقاة الخوارج فاستقبلوه بالصياح والحجارة فنفرت خيل بلج وخافت واضطرب الجيش وزحفت جموع البربر وخالطوا قوات كلثوم ، وبادر بلج باختراق صفوف الخوارج ونجح في ذلك غير أن البربر حالوا بينه وبين الرجوع لعسكره (٥٩) .

في حين تمكن قائد الخوارج خالد بن حميد الزناتي من الهجوم على قوات كلثوم بضراوة فاستشهد حبيب بن أبي عبده ومغيث الرومي وهارون القرني وسليمان بن أبي المهاجر وثبت كلثوم إلى أن نالته سيوف الخوارج وهو يردد قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ (٦٠) وكان ذلك عند بقدورة سنة ١٢٣هـ .

أما بلج بن بشر ومعه ثعلبة بن سلمة وعبد الرحمن بن حبيب فقد اضطره الخوارج إلى التوغل في بلادهم ولجأ إلى مدينة سبتة وتحصن بها وقد أرسل إليه الخوارج خمسة جيوش متتالية للنيل منه إلا أنه تمكن من هزيمتهم جميعاً (٦١) وضيق البربر الخوارج على بلج ومن معه وهو في سبتة ومنعوا عنهم المؤنة بل خربوا كل المزارع التي حول المنطقة والتي من الممكن أن يقتات منها بلج ومن معه فزاد الوضع سوءً وكادوا يهلكوا حتى أكلوا الدواب والجلود (٦٢) .

أرسل بلج بن بشر إلى والي الأندلس عبد الملك بن قطن يطلب منه السماح له بدخول الأندلس فرفض طلبه لكن ما لبثت الأمور أن تغيرت في الأندلس حيث ثار البربر هناك وفشل عبد الملك في التصدي لها فسمح لقوات بلج بأن تدخل الأندلس وتعينه في القضاء عليهم ثم تغادر البلاد خلال عام فوافق بشر على ذلك (٦٣) .

أوضاع المغرب الأدنى زمن الصراع :

لا جدال أن قوة البربر الخوارج كانت محفزاً وباعثاً على استمرار الثورة وتوسيع رقعتها ويبدو أن الخوارج من الصفرية قد نظموا صفوفهم وحددوا وجهتهم فبينما الثورة على أشدها في المغرب الأقصى تخرج طائفة من الصفرية في منطقة قابس بقيادة عكاشة الفزاري الذي بعث أخاً له نحو صبره وجمع القبائل الزناتية ، فقام والي طرابلس صفوان بن أبي مالك وزحف نحو صبره لتخليصها من قوات الخوارج وقد نجح فعلاً حيث هرب الصفرية منها تاركين موتاهم ولحقوا بعكاشة في قابس (٦٤) .

أما خوارج قابس فقد تحصنوا فيها وكان مسلمة بن سواده القرشي النائب الثاني لكلثوم ابن عياض مناهضتهم والقضاء عليهم فخرج إليهم بقواته غير أنه هزم أمام قوات الفزاري وعاد إلى القيروان وقد فقد الكثير من جنوده [٦٥] .

تشير الروايات إلى أن والي طرابلس صفوان بن أبي مالك اتفق مع نواب الوالي كلثوم بن عياض لحصار عكاشة في قابس والقضاء عليه فأحس عكاشة بالخطر فخرج من قابس وتحصن عند منطقة تبعد اثنا عشر ميلاً عن قابس فيخرج إليه نائب كلثوم على الصلاة عبد الرحمن بن عقبة الغفاري ويلتقي مع عكاشة الفزاري في موضع بين قابس والقيروان يعرف (الفحص الأبيض) فهزم الله قوات الخوارج في صفر سنة ١٢٤هـ وزحف عكاشة إلى طبنه عاصمة الزاب [٦٦] .

من هنا يمكن أن ندرك بجلاء سعة انتشار النفوذ والخطر الخارجي في منطقة الشمال الأفريقي من أدناه إلى أقصاه وسيترتب عليه انحسار المذهب السني وذلك ما أقلق الخلافة الأموية فبادر الخليفة هشام بن عبد الملك بتعيين والي جديد يكون على عاتقه دحر الخوارج والمحافظة على المذهب السني في تلك البقعة من العالم الإسلامي بعدما خرج المغربين الأقصى والأوسط عن سلطان الخلافة .

انتصار المذهب السني (غزوة الأصنام والقرن) :

لابد من الإشارة إلى صلابة الخليفة هشام بن عبد الملك الذي رغم الهزيمة الساحقة لقواته في معركتي الأشراف وبقدورة وسيطرت الخوارج على ثلثي منطقة الشمال الأفريقي إلا أن استشعاره بالخطب العظيم وتفاقم قوة الخوارج الذي يؤدي إلى ضياع عاصمة المسلمين الأولى (القيروان) والذي سيجعل المنطقة تحت هيمنة المذهب الخارجي ما جعله يحلف " لئن بقي ليخرجن إليهم مائة ألف ، ثم ليخرجن حتى إذا لم يبقَ غير نفسه وبنيه أقرع بينه وبينهم ثم أخرج نفسه بعد أن وقعت عليه القرعة " [٦٧] .

ولعل أول بوادر النصر الإصرار ، ثم صدق النية عند الخليفة هشام فإن كان هذا حال الخليفة فالرعية حتماً على شاكلته والناس على دين ملوكها ، عين الخليفة هشام بن عبد الملك لولاية أفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي الذي كان والٍ على مصر ويبدو أنه نجح في إدارة ولاية مصر فأمره بالسير على عجل إلى أفريقية وتنظيم أمورها والتصدي للخوارج فوصلها في أواخر ربيع الثاني سنة ١٢٤هـ مع ثلاثين ألف رجل ثم سير إليه الخليفة أيضاً عشرين ألف رجل (٦٨) .

يبدو أن حنظلة حين وصل القيروان أدرك تفاقم الخطر الخارجي على المنطقة وتشعبه فيها مما يشكل خطراً على التواجد السني لذا وضع إستراتيجية لتفكيك الحزب الخارجي فبادر بإرسال رسالة إلى خوارج طنجة يحثهم فيها على الطاعة ويذكرهم بالآخرة ذكرها المالكي (٦٩) وفيها :

" بسم الله الرحمن الرحيم

من حنظلة بن صفوان إلى جميع أهالي طنجة .

أما بعد ، فإن أهل العلم بالله وبكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه يرجع جميع ما أنزل الله عز وجل إلى عشر آيات أمره ، وزاجره ، ومبشره ، ومنذره ، ومخبره ، ومحكمة ، ومشتبهة ، وحلال ، وحرام ، وأمثال ، فآمره بالمعروف ، وزاجره عن المنكر ، ومبشرة بالجنة ، ومنذرة بالنار ، ومخبرة بخبر الأولين والآخرين ، ومحكمة بعمل لها ، ومتشابهة يؤمن بها ، وحلال أمر أن يؤتى ، وحرام أمن أن يجتنب ، وأمثال واعظه ، فمن يطع الآمرة وتزجره الزاجرة فقد استبشر بالمبشرة وأنذرته المنذرة ، ومن يحلل الحلال ويحرم الحرام ويرد العلم فيما اختلف فيه الناس إلى الله ، مع طاعة واضحة ونية صالحة فقد فلح وأنجح وحيا حياة الدنيا والآخرة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته " .

وريثما يجهز جيشه للقاء حاسم أراد كسر شوكة عكاشة الفزاري حيث أرسل إليه عبد الرحمن ابن عقبة الغفاري في رمضان سنة ١٢٤هـ وهزمه وأخرجه

من طبنة غير أن الزعيم الصفري الآخر وهو عبد الواحد بن يزيد الهواري انضم إلى عكاشة فانهزمت قوات عبد الرحمن أمام هذا التجمع واستشهد عبد الرحمن في ذي القعدة من تلك السنة [٧٠] .

ولا يمكن إغفال نقطة هامة في الصراع الدائر بين السنة والخوارج وهو أن الصفرية وإن كان عدوها أهل السنة والسلطة الحاكمة إلا أن بين فرقتها الواحدة تنازع وتنافس كبير على الإمامة وهذا ما نلحظه بوضوح بين الزعيمين الصفرين عكاشة الفزاري وعبد الواحد الهواري فكل منهما يحرص على الوصول إلى القيروان لتكون له الزعامة .

أدركت الصفرية حرص السنة على القيروان فإلى أن تأتي الفرصة للانقضاض عليها قام عبد الواحد الهواري بمحاولة الاستيلاء على تونس فأرسل إليه حنظلة بن صفوان جيشاً بقيادة ثابت بن خيثم ليقطع عليه الطريق غير أن عبد الواحد هزم ذلك الجيش وقتل قائده وذلك في صفر سنة ١٢٥هـ فأدرك حنظلة بن صفوان صعوبة حماية تونس فترك لواليها المستنير بن الحبحاب حرية الدفاع عنها أو الجلاء ويبدو أن والي تونس أدرك قوة جيش عبد الواحد وهمجيته في القتال واستهانتهم بالأعراض والأرواح ففضل الجلاء فخرج إلى القيروان مع عائلات الجند [٧١] .

دخل عبد الواحد تونس وبايعه أصحابه بالإمامة غير أن تلك البيعة أزعجت خالد بن حميد الزناتي إمام الصفرية في طنجة الذي أرسل إليه أحد قواده وهو عبد الأعلى المعروف بزرزور مولى موسى بن نصير وأمره أن يحل لواء عبد الواحد وهذا ما يفسر لنا صراع الطائفة الواحدة وأن كل قائد يعمل لحسابه الخاص [٧٢] .

ليس ثمة شك أن قوات الخوارج كانت قاب قوسين من القيروان لكن حنظلة بن صفوان أدرك أهمية القيروان ودورها الذي تضطلع به لحماية المذهب السني ، لذا فإن دفاعه عنها سيكون بوضع كل الإمكانيات البشرية والمادية .

لقد أضحى الناس في فزع وهلع من الخطر الصفري لأنه أسرف في القتل والتدمير وهتك الحرمات وبلغ ذلك الحقوق قلوب الصناديد من الرجال حتى أن حنظلة بن صفوان كان يأمر الرجل أن يأتيه بخبر القوم فيأبى إلا بعد أن يدفع له خمسين ديناراً [٧٣] .

بادر حنظلة برفع الروح المعنوية عند العامة وكلف العلماء الأفاضل بدورهم المناط بهم من زرع الثقة بالله تعالى وحسن التوكل عليه والأخذ بكافة الأسباب وبيان وهن الصفرية وضعفها لانحراف معتقدها وبعده عن المنهج القويم ، وحرض الناس على الشهادة ورغب في جهادهم ، ثم فتح الخزائن وأخرج السلاح ووزع الأموال فنادى في الناس فأول من دخل عليه رجل من يحصب فقال له ما اسمك ؟ فقال : " نصر بن ينعم " قال : " فتبسم حنظلة كالمكذِّب له ، ثم قال له : " بالله أصدق " ، قال : " والله مالي اسم غير ما ذكرت لك " فدعا عريفه فقال : " ما اسم هذا ؟ " ، قال " نصر بن ينعم " فكبر حنظلة عند ذلك وتفاءل به – ويقال " نصر بن فتح " [٧٤] . وأمر حنظلة بدرع فصبت عليه وأمر لكل قادم عليه بدرع وخمسين ديناراً فلم يزل يفعل كذلك حتى كثر على الناس فرد العطاء إلى أربعين ، ثم إلى ثلاثين وما كان يأخذ إلا شاباً قوياً ، وقد أمضى حنظلة ليله كان على ضوء الشموع يعد للمعركة الحاسمة فلما أسفر الصبح وكان قد عبء خمسة آلاف دارع وخمسة آلاف نابل ، وجعل على الطلائع شعيب بن عثمان ، وعلى الساقة عمرو بن حاتم وعلى الميمنة عبد الرحمن بن مالك الشيباني ، ووقف أمام الجيش وهو في أتم استعداده مادياً ومعنوياً لضرب الصفرية ثم جاءت ثلة من القراء وأهل العلم والدين والفقه أرسلهم حنظلة ليقوا من عزائم الجند فحرضوا على الجهاد وذكروا فضله وذكروا مذهب الخوارج وعِظَمَ ما يريدون من السبي وهتك الحريم وسفك الدماء[٧٥] .

وخرجت نساء القيروان يرغبن أزواجهن في القتال والصمود وأدركن أن المعركة نصرة للمذهب الحق مذهب أهل السنة والجماعة ودحراً للصفرية المارقين

، بل أن من نساء القيروان من خرجن مع الجيش " عقدن الأولوية ، وأخذن معهن السلاح ، وعزمن على القتال ، واستبسلن للموت مع الرجال ، وحلفن لأزواجهن ، لئن انهزم أحد منكم إلينا مولياً من عدوه لنقتلنه " (٧٦) .

معركة الأصنام سنة ١٢٤هـ :

موضع يبعد عن القيروان ثلاثة أميال كان عبد الواحد الهواري قد عسكر فيه ليعد قواته للهجوم على القيروان وكان حنظلة قد حفر خندقاً حول العاصمة القيروان ليحول بينها وبين السقوط في يد عدوه ، وخرج الجيش من القيروان ليلاً فصبح الصفرية في منطقة الأصنام وكانت مباغتة كبيرة لم تتوقعها جموع الخوارج فتبارز الفريقان فكانت الغلبة لجيش حنظلة ثم تلاحم الجيشان فصار لا يسمع إلا صوت الحديد على الحديد واستطاعت الصفرية أن تكسر ميسرة حنظلة لكن تمكنت قوة أهل القيروان من تحطيم ميسرة وقلب الخوارج وأتبعوا ذلك بضرب ميمنتهم فكانت الهزيمة النكراء لقوات الصفرية وتكللت بمقتل قائدهم عبد الواحد وتتبع جيش حنظلة الصفرية حتى جلولاء (٧٧) . وكان عدد القتلى لا يحصي ذكر الرقيق (٧٨) : " وأراد حنظلة أن يحصي من قتل بينهم ، وأمر بعدهم فما قدر على ذلك ، فأمر بقطع القصب وأمر أن نطرح قصبة على كل قتيل ثم جمعت القصب وعدت فكانت القتلى مائة ألف وثمانين ألفاً " .

فرح أهل القيروان بالنصر العظيم فخرج النساء والصبيان معهم الماء والسويق لإطعام الجند وسقيهم .

القرن سنة ١٢٤هـ :

على بعد ستة أميال من القيروان عسكر عكاشة الفزاري القائد الصفري الآخر الذي سار إليه حنظلة بن صفوان على عجل حتى لا تصل إليه أخبار عبد الواحد الهواري ومقتله فيزيد ذلك في ضراوة القتال وشدته ، وفعلاً وصلها ولم يكن يعلم شيئاً من معركة الأصنام .

كانت الروح المعنوية عند أهل السنة عالية جداً بعد الأصنام فكانت حافزاً لنجاحهم في لقاء آخر مع الصفرية ، لكن لن يخلو الأمر من شدة وهلع بل أن القتال الذي بدأ بين الطرفين كان شديداً " وكانت النساء قد ركبن ظهور البيوت بالقيروان فإذا رأين الغبار سائراً إلى الجبل كبرن وسجدن ، وإذا رأينه مقبلاً صرخن واستغثن " (٧٩) . وبعد صولات وجولات حلت الهزيمة بالصفرية وفر عكاشة الفزاري من أرض المعركة فترصد به جند حنظلة فقدموا به أسيراً إلى حنظلة فقتله وخر ساجداً لله شكراً على ما تفضل الله به تعالى من دحر هذا الخطر العظيم .

أن الانتصار في الأصنام والقرن لم يكن فرحه وسروراً لأهل القيروان فحسب بل في العالم الإسلامي كله ، ولم يكن أهل أفريقية وحدهم يتابعوا خطوات مواجهة الخطر الصفري بل عامة الناس في الدولة الإسلامية والعلماء والفقهاء بخاصة كانت متابعة أخبار الحال في القيروان لما يدركه هؤلاء من خطر تمادي النفوذ الخارجي ولذا لا عجب إذا سمعت الليث بن سعد ففيه مصدر يقول : " ما من غزوة كنت أحب أن أشهدها ، بعد غزوة بدر ، أحب إلي من غزوة القرن والأصنام " (٨٠) .

" وقد أنقذت هاتان الواقعتان مصير السنة في أفريقية والمغرب فثبتت أقدامهما في أفريقيا والزاب ، وانحاشت المبادئ الخارجية من إباضية وصفرية مع أصحابها " (٨١) .

وقد وصلت أخبار النصر إلى الخليفة هشام بن عبد الملك وهو على فراش الموت سنة ١٢٥هـ وقد بر بقسمه وأدب خصوم دولته (٨٢) .

لعل من الجدير ذكره أن صورة الشمال الأفريقي بعد الأصنام والقرن قد بدت واضحة فقد انحسر سلطان الخلافة الأموية عن المغربين الأوسط والأقصى ، ولم يعد ضمن ممتلكاتها في المنطقة إلا المغرب الأدنى وإن بدا ذلك سيئاً إلا أنه لا شك أن بقاء القاعدة القيروان في حوزة الخلافة الأموية قد كان له الدور الكبير في المحافظة على المذهب السني في تلك البقعة البعيدة عن مركز الخلافة .

وأشير هنا إلى الدور العظيم الذي قام به الوالي الفاضل حنظلة بن صفوان الكلبي (٨٣) فقد كان سديد الرأي حين رأى عدم تشتيت الجهود في محاربة الصفرية في كافة المغرب بل حصر قوته جميعها للدفاع عن القيروان ، كما أنه لم يتتبع الصفرية بعد انتصاره في الأصنام والقرن في مناطق بعيدة عن القيروان حتى لا يؤدي ذلك إلى نتائج غير محمودة ، وهذا فعلاً من الحكمة البالغة في تلك اللحظات العصبية إذ لا يمكن إغفال قضية هامة وهي أن الخوارج من إباضية وصفرية كان وجودهم في المغربين الأوسط والأقصى بكثرة وبقوة بل منذ عام ١٢٢هـ أي بعد نجاح ثورة ميسرة انفصل المغرب الأقصى تماماً من الخلافة الأموية وأصبح سكانه يعتمدون على أنفسهم في إدارة بلادهم (٨٤) وكانوا من الصفرية الغلاة .

أما الإباضية فكانت حركتهم أقل عنفاً وقد جعلت من طرابلس – أولى محطات المغرب – قاعدة لمذهبها وكانوا يرقبون حركات الصفرية بازدراء للفحش الذي أحدثوه بل ما خلت العلاقة بينهما من تصادم كما حدث في سنة ١٤٠هـ حين دب النزاع بين أبناء البيت الفهري الأمر الذي حفز ورفجومة الصفرية على استغلال الفرص ودخلت القيروان وعاثت فيها الفساد فقام إباضية طرابلس وولوا على أنفسهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وهو من "حملة العلم" وله دور في نشر المذهب الإباضي في المغرب فجمع أبو الخطاب قبائل هواره وزناتة وسار بهم إلى القيروان واستطاع دخولها بعد قتال مرير مع الصفرية ثم انتهت المعركة لصالح الإباضية الذين دخلوا القيروان سنة ١٤١هـ ونظم أبو الخطاب أمور القيروان وعين عليها نائباً من قبله هو أحد طلبة العلم أيضاً واسمه عبد الرحمن بن رستم (٨٥) ، وظلت في أيدي الإباضية حتى سنة ١٤٤هـ حين عين الخليفة أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث الخزاعي والياً على أفريقية فطهرها من الإباضية .

لكن على الرغم من الشدة التي استعملها الخلفاء العباسيون تجاه حركات الخوارج من إباضية وصفرية إلا أن الخوارج تمكنوا من إنشاء دويلات لهم هناك

فقد أنشأت الصفرية دولة في سجلماسة المدرارية سنة ١٤٠هـ في الجنوب الغربي وأنشأ الإباضية دولة بني رستم في تاهرت سنة ١٦٠هـ في المغرب الأوسط .

وتشير إلى أنه رغم قيام دولة خارجية في تلك المنطقة إلا أن المذهب السني يعود بقوة وتتجدد معالم الصورة بجلاء في التمسك بمذهب الإمام مالك رضي الله عنه ما ظل أثره حتى اليوم بدون منازع .

الخاتمة:

إن الاستقرار الأمني والسياسي الذي نعمت به أفريقية في ظل الفتح الإسلامي قد أدى إلى نتاج حضاري عظيم غدت بموجبه القيروان مركزاً علمياً وثقافياً وأيضاً ينطلق منها نور الإسلام للقارة الأفريقية والأوروبية على حد سواء ، غير أن حركات الخوارج من الصفرية والإباضية قد أدت إلى صعوبات جمة في سبيل استمرارية الاستقرار في كل منطقة الشمال الأفريقي من أدناها إلى أقصاها وكان لتلك الثورات المتتالية الأثر السلبي على الوضعية الأمنية والسياسية والحضارية الأمر الذي أسفر عن صراع مذهبي بين السنة والخوارج نتج عنه في نهاية الأمر اقتطاع المغربين الأوسط والأقصى عن سلطان الخلافة السنية ولا ننكر جهود الخلفاء الأمويين وولاتهم في محاولة التصدي لهذا الطوفان ويبرز دور حنظلة بن صفوان الكلبي وطائفة العلماء الأجلاء ورجال القيروان ونساءهم في محاربة الخوارج ودحرهم عن القيروان وبذلك حموا عاصمتهم وأفريقية كلها من التسلط الخارجي واستمراريته حصناً منيعاً للمذهب السني .

نتائج البحث :

يمكن ذكر نتائج البحث في النقاط التالية :

١- انتقال الخوارج من المشرق الإسلامي إلى المغرب الإسلامي لبعده عن مركز الخلافة في دمشق .

٢- سرعة تقبل البربر للمبادئ الخارجية لبساطة البربر وعدم تعمقهم في فهم الإسلام .

٣- مبدأ المساواة الذي نادى به الخوارج حفز الكثير للدخول فيه .

٤- لم يكن الظلم الذي وقع على البربر من بعض الولاة سبباً لاعتناق المذهب الخارجي.

٥- بذلت الدولة الأموية جهوداً جبارة للحد من نفوذ الخوارج والقضاء عليهم .

٦- الهزيمة التي مُني بها جيش الخلافة في الأشراف وبقدورة أدت إلى استفحال الخطر الخارجي .

٧- رجاحة عقل وحكمة الوالي حنظلة بن صفوان الكلبي أدت إلى المحافظة على المذهب السني في القيروان العاصمة الأولى للمسلمين هناك كما أدت إلى ثبات المذهب السني إلى يومنا هذا أثر معركتي القرن والأصنام التي هزم فيها الخوارج .

الهوامش والتعليقات

(١) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٨٩م ، ج١ ، ص٦٠-٦١ .

(٢) د. غالب بن علي عواجي : الخوارج ، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة ، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ ، ص٩٥ .

(٣) أحمد أمين : فجر الإسلام ، ط١١ ، ١٩٧٥م ، مكتبة النهضة العربية ، ص٢٥٩ .

(٤) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ص٦٤ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧م ، ج٥ ، ص٢٧٨ .

(٦) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم العمري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص٢٠٤ .

(٧) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ج٥ ، ص١٦٦.

(٨) الطبري : المصدر السابق ، ج٥ ، ص١٨٨ .

(٩) الطبري : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٤٧١ .

(١٠) الطبري : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٤٧١ ؛ خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ص٢٥٣ .

(١١) أحمد أمين : نفس المرجع ، ج١ ، ص٣٠٨ .

(١٢) أرسل الخليفة عشرة من العلماء الأفاضل هم : عبد الرحمن بن نافع ، سعد بن مسعود التميمي ، أبو عبد الله الحلبي ، إسماعيل بن عبد الأنصاري ، موهب بن حي

المعافري ، حيان بن جبلة القرشي ، أبو ثمامة بكر بن سواده الجذامي ، جعثل بن عمير ، وإسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر دينار ، طلحة بن جابان الفارسي .

المالكي : رياض النفوس ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١م ، ج١ ، ص٦٦-١٧٥ ؛ الدباغ : معالم الإيمان ، تحقيق : إبراهيم شيوع ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٨م ، ج١ ، ص١٣٥-١٥٤ .

(١٣) الأفارقة : هم من أجناس متعددة دخلوا أفريقية وعاشوا فيها لكنهم احتفظوا بلغتهم وديانتهم .

د. سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، ١٩٧٨م ، ج١ ، ص١٠٦ .

(١٤) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع ، ج١ ، ص١٠٦ .

(١٥) مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق : د. سعد زغلول عبد الحميد ، الإسكندرية ، ١٩٥٨م ، ص١٥٥ .

(١٦) د. محمد عيسى الجزيري : الدولة الرسمية بالمغرب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، دار القلم ، الكويت ، ١٤٠٨هـ ، ص٤٣ .

(١٧) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م ، ج١ ، ص٤٥.

(١٨) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٦٥م ، ج١ ، ص٢٧٠ .

(١٩) د. محمود إسماعيل عبد الرزاق : الخوارج في بلاد المغرب ، ص٤٦ .

(٢٠) د. محمد أبو زهرة : المرجع السابق ، ص ٧٦-٧٨ .

(٢١) د. محمود إسماعيل عبد الرزاق : نفس المرجع ، ص٤٧ .

(٢٢) د. سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج١ ، ص٢٨٦ .

(٢٣) د. محمود إسماعيل عبد الرزاق : المرجع السابق ، ص٤٧ .

(٢٤) الدولة الرسمية بالمغرب الإسلامي ، ص٥٥ .

(٢٥) عبد العزيز بن عبد الله : تاريخ المغرب ، مكتبة السلام ، الدار البيضاء ، ص٨٣ .

(٢٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٥٨م ، ج٦ ، ص١١٨ .

(٢٧) ابن خلدون : نفس المصدر والجزء ، ص١٠٥ .

(٢٨) ابن خلدون : نفس المصدر ، ج٧ ، ص١١ .

(٢٩) د. محمود إسماعيل عبد الرزاق ، المرجع السابق ، ص٥٦-٥٧ .

(٣٠) ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج١ ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص٤٨ .

(٣١) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٢ .

(٣٢) د. حسين مؤنس : تاريخ المغرب وحضارته ، ط١ ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٢م ، المجلد الأول ، ج١ ، ص١٣٦-١٣٧ .

(٣٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، بولاق ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ ، ج٤ ، ص١٨٢ .

(٣٤) الرقيق القيرواني : تاريخ أفريقية والمغرب ، تحقيق : المنجي الكعبي ، رفيق السقطبي ، تونس ، ١٩٦٨م ، ص١٠٠ .

(٣٥) سير أعلام النبلاء : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج٥ ، ص٣٥٢ .

(٣٦) د. خليل السامرائي ، د. عبد الواحد طه ، د. ناطق مطلوب : تاريخ المغرب العربي، مديرية دار الكتب ، العراق ، ١٩٨٨م ، ص١٠٦ .

(٣٧) المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، ط١ ، تصحيح : محمد شمام ، المكتبة العتيقة، ١٣٨٧هـ ، ص٣٨ .

(٣٨) د. حسين مؤنس : المرجع السابق ، ج١ ، ص١٣٧ .

(٣٩) د. أحمد بدر : دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ، الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٩٦٩م ، ص٤٥ .

(٤٠) الطبري : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٢٥٥ .

(٤١) الأبرش بن الوليد الكلبي ، وكان رئيس وزراء هشام والإنسان الأثير لديه .

محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ط١ ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٨٢هـ ، ج٢ ، ص٢٥١ .

(٤٢) الطبري : المصدر السابق ، ج١ ، ص٧ .

(٤٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ، ط٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٨٩هـ ، المجلد السادس ، ج١٢ ، ص٢٤٠-٢٤١ .

(٤٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ج٩ ، ص٣٥٣ .

(٤٥) د. محمد عيسى الحريري : نفس المرجع ، ص٥٦ .

(٤٦) د. محمد عيسى الحريري : نفس المرجع ، ص٥٧ .

(٤٧) د. حسين مؤنس : نفس المرجع والجزء ، ص١٥١ .

(٤٨) الرقيق القيرواني : نفس المصدر ، ص١١٠ .

(٤٩) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص٢٩٢ .

(٥٠) ابن عذاري : المصدر السابق والجزء ، ص٥٥ .

(٥١) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، مكتبة المتنبي ، بغداد ، ١٨٦٧م ، ص٣٠-٣١ .

(٥٢) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص٢٩٣ .

(٥٣) ابن عذاري : نفس المصدر والجزء ، ج١ ، ص٥٦ .

(٥٤) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص٢٩٤ .

(٥٥) ابن عذاري : نفس المصدر والجزء ، ص٥٦ ؛ محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج٢ ، ص٢٦٦ .

(٥٦) ابن عذاري : نفس المصدر والجزء ، ص٥٧ .

(٥٧) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص٢٩٥ .

(٥٨) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص٣٢ .

(٥٩) مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، ص٣٤ .

(٦٠) سورة التوبة ، آية : ١١١ .

(٦١) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص٣٤ .

(٦٢) ابن عذاري : نفس المصدر والجزء ، ص٥٨ .

(٦٣) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص٣٨ .

(٦٤) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص٢١٩ .

(٦٥) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص٢١٩ .

(٦٦) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص٣٠٢ .

(٦٧) مؤلف مجهول : نفس المصدر ، ص٣٦ .

(٦٨) مؤلف مجهول : نفس المصدر ، ص٣٦ .

(٦٩) رياض النفوس ، ج١ ، ص٦٧ .

(٧٠) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص٢٢٢ .

(٧١) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص٣٠٤ .

(٧٢) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص٣٠٤ .

(٧٣) الرقيق : نفس المصدر ، ص١١٨ .

(٧٤) الرقيق : نفس المصدر ، ١١٩ .

(٧٥) الرقيق : نفس المصدر ، ص١٢٠ .

(٧٦) الرقيق : نفس المصدر والصفحة .

(٧٧) الرقيق : نفس المصدر ، ص١٢١ .

(٧٨) الرقيق : نفس المصدر ، ص١٢٢ .

(٧٩) الرقيق القيرواني : نفس المصدر ، ص١١٧ .

(٨٠) ابن عذاري : نفس المصدر والجزء ، ١/٥٩ .

(٨١) د. حسين مؤنس : نفس المرجع والمجلد ، ص١٥٥ .

(٨٢) د. سعد زغلول : نفس المرجع والجزء ، ص٣١٠ .

(٨٣) انظر : د. حسين مؤنس : نفس المرجع والجزء ، ص١٦٦ .

(٨٤) انظر : د. حسين مؤنس : نفس المرجع والجزء ، ص١٦٣ .

(٨٥) د. سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع والجزء ، ص٣٤٢ .

المصادر والمراجع

المصادر :

- ابن أبي دينار : أبو عبد الله محمد بن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، ط٢ ، المكتبة العتيقة ، ١٩٦٧م .
- ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ) : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥م .
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ) : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، الجزء الرابع والسادس ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٥٨م .
- ابن عذاري المراكشي : أبو العباس أحمد (ت٧١٢هـ) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الأول ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت٧٧٤هـ) : البداية والنهاية، مكتبة المعارف ، بيروت .
- البلادي الناصري : أحمد بن خالد الناصري : الاستقصار لأخبار دول المغرب الأقصى ، الجزء الأول ، مصر ، ١٣١٢هـ .
- خليفة بن خياط : أبو عمرو (ت٢٤٠هـ) : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم العمري ، ط١ ، النجف ، ١٩٦٧م .

- الدباغ : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت٦٩٦هـ) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، الجزء الأول ، تحقيق : إبراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٨م .
- الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ) : سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- الرقيق القيرواني : أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (٥هـ) : تاريخ أفريقية والمغرب ، تحقيق : المنجي الكعبي ، الناشر : رفيق السقطي ، تونس .
- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) : تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة ، ١٩٣٩م .
- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، نسخة معادة بالأوفست أعادتها مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة في مدينة مجريط ، بمطبعة ابزنير ، ١٨٦٧م .
- مؤلف مجهول : كاتب مراكش من القرن السادس الهجري (٢١٢) : الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق : د. سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، ١٩٥٨م .
- المالكي : أبو عبد الله (ت٤٣٢هـ) : رياض النفوس ، نشر : حسين مؤنس ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١م .
- مسلم : الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ) : صحيح مسلم بشرح النووي ، ط٣ ، المجلد السادس ، ج١٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٨٩هـ .

- ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ) : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧١م .

المراجع :

- أحمد أمين : فجر الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥م .
- حسين حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٦٥م .
- حسين مؤنس : تاريخ المغرب وحضارته ، ط١ ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٢م .
- د. أحمد بدر : دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ، ط٢ ، دمشق ، ١٩٦٩م .
- د. خليل السامرائي ، د. عبد الواحد طه ، د. ناطق مطلوب : تاريخ المغرب العربي ، مديرية دار الكتب ، العراق ، ١٩٨٨م .
- د. سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٨م .
- د. غالب بن علي عواجي : الخوارج ، ط٢ ، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة ، ١٤٢٣هـ .
- د. محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٨٩م .

- د. محمد عيسى الحريري : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي ، ط٣ ، دار القلم ، الكويت ، ١٤٠٨هـ .
- د. محمود إسماعيل عبد الرزاق : الخوارج في بلاد المغرب ، الطبعة الثانية، دار الثقافة ، ١٤٠٦هـ ، الدار البيضاء ، المغرب .
- عبد العزيز بن عبد الله : تاريخ المغرب ، مكتبة السلام ، الدار البيضاء .
- محمد علي دبوز : تاريخ المغرب ، ط١ ، عيسى البابي وشركاه ، ١٩٦٣م .

Publication Guidelines and Regulations

Definitions

1. Umm Al-Qura University magazines are refereed scientific periodicals that aim at providing scholars in different fields of knowledge an opportunity to publish their products. The "Journal of Islamic Knowledge (Shari'a) and Islamic Studies" is one of them.
2. The journal is published three times a year, each four months.
3 The following can be published in the magazines:
   a. Unpublished original scientific research. which has not been, submitted anywhere else for publication.
   b. Translations of serious scientific research
   c. Study and authentication (editing) of manuscripts of Islamic heritage.
   d. Reviews and introductions of books.
   e. Reports on conferences. forums and other related scientific activities.

   f Final reports about the scientific research financed by the university or others.

   g Summaries of outstanding university theses.
4. Works related to items (1.2,3) should note exceed 50 pages and works mentioned in (4,5,6,7) should not be more than 10 pages.
5. Arrangement of the topics is subject to technical factors.
6. The materials published in the university publications represent the views of their authors.

Responsibilities of the researcher and his rights

1. A researcher should submit his research in 4 hard copies using IBM compatible computer technology (MS Word 4 or later). It had better be in conformity with the following: Printing area "12.5 cm 18.7 cm", point size 14 points for the text, 12 points for footnotes and references, and the titles should be 18-24 points. Double spaced lines should be used.
2. Appropriate Arabic and English summaries (not exceeding 200 words each) should be submitted.
3. A summary of CV to be submitted in a separate sheet.
4. Drawing originals drawn on paper using black Chinese.
5. For documentation purposes, only one of the acceptable reference styles with a single continuous reference number should be used throughout the paper
6. References should be registered at the end of the research. They should be arranged alphabetically with the researcher's family name followed by first names or their abbreviations, book title in brackets or in italics or underlined.
7. A researcher, a translator, an editor, an author of a discussion paper, a review, a report, or a university thesis summary will be provided with 20 copies of his work and one copy of the publication in which the work has appeared.

Distribution of the Journal and Correspondence

a. The journal is sold for 20.00 Saudi Riyals or US$40.00.
b. Annual subscription fee is 120.00 Saudi Riyals or US$60.0.
c. Requests for exchange and gifts should be addressed to the Deanship of Library Affairs, Umm A1- Qura University, P.O. Box No. 715, Makkah, Saudi Arabia.
d. All correspondence, subscription and purchasing applications should be addressed to the Chief Editor at: Umm al-Qura University Magazine (Journal of Islamic Knowledge (Shari'a) and the Arabic Language and Literature), Umm al-Qura University, P. 0. Box No. 715, Makkah, Saudi Arabia.

E-mail : www.uqu.edu.sa.

Contact us at : www.sajournal@uqu.edu.sa



Supervisory and Editorial

Umm Al-Qura University Journal of Islamic Knowledge (Shari'a) and Islamic Studies

Vol. No. 49

Moharram , 1431 H., January 2010

ISSN: 1658-4643